التشابه بين قصة سيدنا موسى عليه السلام عند ابن كثير وأسطورة روموليوس وريموس

د. صالح رمضان رضوان(*)

إن الأسطورة والدين كلمتان يحوطهما سحر خاص لا يتوفر للكثير من الكلمات في أية لغة من اللغات، إذ تثريان واقع الحياة في إطار من الوهم كي تخلق منه دنيا جديدة لتهويم الطموح الإنساني. ولقد عرفت الشعوب الدين وكذلك الأسطورة والتقت عندهما ثمَّ أصبحا يشكلان لتلك الشعوب تراثًا تستمد منه عطرًا لا يمحى. ولقد قدم الدين الكثير من القصص في إطار من اللغة الأدبية السامية، ومن الأسطورة أيضًا تسربت ألوان من القصص، ومنها تحرك الفكر الإنساني ليخلق مختلف أشكال الأدب.

والبشرية قد عرفت الأسطورة كي تحكي أحلامها وآمالها وترسم دنياها المليئة بالتطلع والشادية إلى المعرفة. ومن هنا كانت الأسطورة في البدء هي المنبع الإلهامي للشعوب، وكذلك الدين الذي يعتبر المرشد والملهم للشعوب والذي يرسم لهم حياتهم وطموحهم وأحلامهم.

ولقد كانت الأسطورة هي محاولة الإنسان الأول في تفسير الكون تفسيرًا قوليًا. وهي أيضًا محاولة لتفسير ظواهر الوجود وربط الإنسان بها. وكانت الأسطورة هي الدين ثمَّ أصبحت الجزء القولي المصاحب للشعائر الدينية الممارسة بالرقص أو الحركة في الأديان البدائية الأولى(١). أما الدين فقد فسر الكون للإنسان، وكذلك ظواهر الوجود وعلاقة الإنسان بها.

ولقد جاءت الأساطير بحكايات خرافية كبقايا للمعتقدات الشعبية وبقايا تأملات الشعب الحسية وخبراته وقواه حينما كان الإنسان يحلم لأنه لم يكن

(*) قسم الدراسات اليونانية واللاتينية – كلية الآداب– جامعة سوهاج.

(١) د. فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٨٤، ص ١٩ – ٢٦. د. عماد حاتم، أساطير اليونان، دار الشرق العربي، ١٩٩٤، ط٤، ص ١٧ – ١٨.

يعرف، وحينما كان يعتقد لأنه لم يكن يرى[١]. أما الدين فقد جاء بحكايات تنظم المعتقدات الشعبية والتأملات وجعلت الإنسان يعرف خبراته وقواه.

إن التشابه بين الأسطورة والدين رغم ما يفصل بينهما من مسافات زمنية ومكانية بعيدة، يرجع إلى تماثل الأفكار الأساسية بينهما وإلى وسيلتيهما في عرض شخصيات بعينها، والى طريقتيهما في إيجاد نسيج النص، وكذلك لب التجسيد الدرامي، إذ كانت توضع على لسان الشخصيات، بصرف النظر عن قدرتها على القول الأدبي[٢].

ويقول فريد ريش فون ديرلاين في كتابه "الحكايات الخرافية": إن بعض الشعوب تمتلك موهبة خاصة في خلق الحكاية الخرافية مثل الهنود والعرب والكلتيين، إذ صاغوها في أكمل صورة فنية لها، كما غذوها بخيالهم وكسوها بالبهاء والروعة" [٣].

ويؤكد ثيودور على ذلك بقوله: "إن الحكايات الخرافية والأسطورية قد نشأت في بلاد الهند، وهي في أصلها حكايات بوذية كانت تحكي لأغراض تعليمية ثمَّ انتشرت في أوربا عن طريق العرب" [٤].

وفيما يتعلق بقدامى اليونانيين فإن هذا النمط من التفكير الأسطوري لا يزال الهيكل الأساسي في بناء العديد من الديانات المعاصرة. وعلى الرغم من توالي الأزمنة ودورة العصور فلا تزال الأساطير اليونانية تتوهج بالمعاني الإنسانية العميقة، ومن هنا اكتسبت قيمة تربوية مهمة، ذلك أنها على الرغم من القشرة الوثنية التي تكسوها فقد احتفظت بمعانٍ نبيلة تحمل الارتقاء بالإنسان وطموحاته نحو تجاوز الواقع وإدراك المجهول وتحقيق الأحلام الباهرة[٥].

---

(١) فريدريش فون لاين، الحكاية الخرافية، ترجمة: د. نبيل إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٣.
(٢) د. عماد حاتم، المرجع السابق، ص ١٩ – ٢٣.
(٣) د. فاروق خورشيد، المرجع السابق، ص ١١.
(٤) د. فاروق خورشيد، المرجع السابق، ص ٣٥.
(٥) د. فاروق خورشيد، المرجع السابق، ص ٢١.

ويقـــول د. عبد المعطي شعراوي[١]: إنه من أجل فهم التراث الإغريقي، أو دراســـته، أو تذوقـــه، يجـــب الإلمام بالأساطير. وإن الأساطير الإغريقية زاخـــرة بعنصر الخيال الذي يستطيع أن يؤثر على المشاعر الإنسانية في كل عـــصر وأوان. كمـــا أن الأساطير الإغريقية قادرة على تقديم العون لدارسي الأدب والفـــنون الإغـــريقية، فلقـــد تأثر الكُتَّاب والفنانون على مدى الأجيال بالأساطير الإغريقية، ولا نكاد نجد عملاً أدبيًا أو فنيًا يخلو من تأثيرها. وأن الأسطورة الإغريقية غالبًا تشمل أسرةً بأكملها أو مجتمعًا بأكمله، وقد تشمل أيـــضًا الكون كله. كما أن أول وأهم مصادر الأسطورة الإغريقية هما الإلياذة والأوديـــسيا للشاعر الإغريقي هوميروس[٢]. كما أنهما لا يزالان حتى الآن الـــسجل الرســـمي لعقيدة الإغريق والمرجع الأساسي لدارسي أساطيرهم[٣]. وكمـــا يقول هيرودوتوس بأن هوميروس ومن بعده هيسيودوس هما اللذان أتـــيا لليونانيـــين بأنـــساب الآلهـــة وأطلقـــا علـــيها ألقابًا وفصلا عباداتها واختـــصاصاتها، وبيَّنا أشكالها[٤]. وهذه النقطة بالتحديد هي التي تهمنا في هـــذا الـــصدد، فلقـــد أصبحت الإلياذة والأوديسيا فيما بعد دستورًا للإغريق، وهاديًـــا لهـــم، ومركـــزًا للمعلومات التي يحتاجون إليها في مجال علاقاتهم بالآلهة[٥]. ولقد قدم هوميروس زيوس كحاكم لمجتمع الآلهة، ووالدًا لشعبه، ومنـــتقمًا للضعفاء، ورحيمًا وعادلاً مع رعاياه، يتجمع من حوله بقية الآلهة والـــربات، وهي صورة مأخوذة من نظام الحكم الإغريقي في ذلك الوقت[٦]. ومن المعروف أن هوميروس قد صور في ملحمتيه عصر الملكية المستبدة.

---

(١) د. عـــبد المعطـــي شعراوي، أساطير إغريقية، الجزء الأول- أساطير البشر، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ١٩٩٢، ص ٥: ١٢.

(2) Butler (Samuel), The Authoress of the Odyssey, Univ. of Chicago Press, 1967, p. 7.

(3) Bowra (C.M.), The Greek Experience, Mentor Books 1959, p. 119.

(4) Herod. II. 53.

(5) Earp (F.R.), The Way of the Greeks, Oxford 1929, p. 134.

(6) Earp, Op. Cit., p. 140.

ويقـــول د. عبد المعطي شعراوي: إن هزيودوس الشاعر التعليمي يلي هوميروس كمصدر مهم من مصادر الأساطير الإغريقية .. وكان عمله الأول هـــو قصيدة الأعمال والأيام التي تحوي مجموعة من الأساطير والملاحظات الأخلاقـــية والنصائح الفنية والأمثال الشعبية[١]. أما العمل الآخر فهو قصيدة أنساب الآلهة (θεογονια)، وهي عرض مفصل للمراحل التي مر بها العالم مـــن آلهـــة وبشر. وفيها يتناول البدايات الأولى للكون وبداية تكوين العائلة المقدســـة، ثـــمَّ يتتـــبع سلالات الآلهة على اختلاف درجاتها حتى يصل إلى مجموعة عائلات الأبطال. ويبدأ هزيودوس هذه القصيدة بثلاثة آلهة متناهية القـــدم هـــي: خاؤوس والأرض والحب، ثمَّ تنجب الأرض السماء، ثمَّ ينجبان التياتن والكوكلوبس والمسوخ ذات المائة يد[٢]. بعد ذلك يثور التياتن بقيادة كـــرونوس ضد أبيهم السماء بتحريض من أمهم الأرض، ويصبح كرونوس (الزمن) حاكمًا للكون. وبعد أن يعلم كرونوس أن نهايته سوف تكون على يد واحـــد من أبنائه يقوم بابتلاع كل طفل تنجبه لـــه زوجته عدا الطفل زيوس الـــذي أنقذتـــه أمه رهيا. وعندما يكبر زيوس يقهر والده كرونوس ويقصيه عـــن العـــرش[٣].. ثـــمَّ يتقـــيأ كـــرونوس كل أطفاله الذين ابتلعهم من قبل، ويتقاســـمون العـــالم مـــع زيـــوس. وبعـــد معـــركة التياتن[٤]والقضاء على التـــيفويس[٥]، يـــصبح زيوس حاكم الكون، وأبًا لقائمة من الآلهة والآلهات. وهكذا حاول هزيودوس تفسير ظاهرة بداية الكون ومجيء الآلهة والأبطال، حيث يذكر أيضًا أسماء لأبناء أنجبتهم ربات من أفراد البشر. والجدير بالذكر هـــنا أن مضمون قصيدة أنساب الآلهة والخاص بخشية كرونوس على نفسه وعرشـــه مـــن أحد أبنائه يتشابه إلى حد بعيد مع الهدف من بحثنا، وسوف

---

(1) Evelyn- White (Hugh G.), Hesiod, The Homeric Hymns and Homerica, Heinemann 1959, pp. XVIII – XIX, p. XXVI.

(٢) راجع د. عبد المعطي شعراوي، المرجع نفسه، ص ٦٨.

(٣) د. عبد المعطي شعراوي، المرجع نفسه، ص ٧٢.

(٤) د. عبد المعطي شعراوي، المرجع نفسه، ص ٧٣.

(5) Graves (Robert), The Greek Myths, 2 vol., Penguin Books 1955, Vol. 1, pp. 133- 4

نعرض لـــه فـــي حيـــنه. بالإضافة إلى ذلك نجد أن الكثير من المصادر الإغـــريقية للأسطورة قد اقتربت من هذا الموضوع، إلا أن ما يهمنا هنا هو أن هـــذه المـــصادر تجـــاوزت الشعر الملحمي والتعليمي إلى الشعر الغنائي، وكـــان بنداروس هو أشهر الشعراء الغنائيين كمصدر للأسطورة الإغريقية. وإلـــى جانـــب ذلـــك يأتـــي شعراء التراجيديا مثل ايسخولوس وسوفوكليس ويوربـــيديس[١]، حيث يسجل لنا التاريخ عناوين أكثر من أربعمائة تراجيديا إغـــريقية تتناول كلها الأساطير كموضوعات لها، وترتكز هذه الموضوعات علـــى علاقـــة الآلهة ببعضها، وكذلك علاقة الآلهة بالبشر، ثمَّ علاقة البشر ببعـــضهم تحـــت مظلة الآلهة؛ لذلك اعتبر هؤلاء الكتاب الثلاثة مصدرًا مهمًا من مصادر الأساطير الإغريقية[٢].

يلـــي ذلك شـــعراء الكوميديا، ويعتبر أرستوفانيس الممثل الوحيد لها في مـــراحلها الأولى[٣]، فنجد أن كوميدياته مليئة بالأساطير الزاخرة بالإشارات والتلمـــيحات الأسطورية، كما أنه يتعرض أيضًا للعبارات الصوفية التي كان يمارسها الإغريق[٤].

كما يشكل النثر أيضًا مصدرًا من مصادر الأساطير الإغريقية، وهنا يبرز اســـم هيـــرودوتوس الذي لقب بـ"أبو التاريخ" [٥]. ولقد جاء تاريخه زاخرًا بقصص الآلهة والأبطال والملوك ففي كتابه الأول، على سبيل المثال، يتتبع

---

(١) عاش ايسخولوس في الفترة من ٥٢٥ حتى ٤٥٦ ق.م، وسوفوكليس ٤٩٦- ٤٠٦ ق.م، ويوربيديس ٤٨٥- ٤٠٦ ق.م.

(2) Baldry, Ancient Culture and Socieu (The Greek Tragic Theatre), London 1971, p. 75.

(٣) عاش أرستوفانيس في الفترة من ٤٤٥ حتى ٣٨٥ ق.م.

(٤) د. عبد المعطي شعراوي، المرجع السابق، ص ٢٥: ٢٦.

(٥) أول مـــن أسمـــاه بهذا اللقب هو شيشرون الكاتب والخطيب السياسي الروماني (Cicero, de Legg. 1- 5) وإن كان بعض النقاد والمحدثين ينكرون عليه ذلك. راجع:

Toynbee (Arnold J.), Greek Historical Thought, Mentor Book 1964, p. XIX. Bowra (C.M.), Landmarks in Greek literature, London 1966, p. 163.

العلاقة بين الفرس والإغريق منذ العصور الأسطورية[١]. وفي كتابه الثاني: يستعرض وصف عادات وتقاليد وآلهة وديانات مصر القديمة، وينتقل من ذلك إلى أسطورة هيلينا[٢]، ثمَّ قصة راميسنتوس[٣]، ثمَّ أسطورة أوزوريس ثمَّ يختتمه بقصة أمازيس. وبمثل هذه الطريقة تدخل الأحداث التاريخية من بوابة الأساطير. ثمَّ يلي ذلك ثوكيديديس[٤] الذي يشترك مع هيرودوتوس في وجود الأساطير الإغريقية بين ثنايا التاريخ[٥]. وتعتبر الفلسفة أيضًا مصدرًا مهمًا للأساطير الإغريقية، فلقد ضمَّن أفلاطون عددًا ضخمًا من الأساطير في محاوراته الشهيرة[٦]، مثال محاورة فايدروس[٧]، وبروتاجوراس[٨]، وجورجياس[٩]، والجمهورية[١٠]. ومن العصر السكندري يأتي أبوللونيوس الرودسي[١١] كمصدر رئيسي من مصادر الأساطير الإغريقية، وهو الذي نظم قصيدته الملحمية رحلة السفينة أرجو Argonautica التي تصف العقبات التي وضعتها الآلهة في طريق السفينة وركابها، والمحاولات التي بذلها ياسون من أجل تحقيق الهدف من البعثة، ومساعدة ميديا له، بعد وقوعها في حبه، في الحصول على الفروة الذهبية والفرار من كوكيس.

---

(1) Sinclar (T. A.), A History of Classical Greek Literature, (From Homer to Aristotle), London 1939, pp. 166 – 175.

(٢) الفصول ١١٢ – ١٢٠.

(٣) الفصول ١٢١- ١٢٢.

(4) Rose (H. J.), Handbook of Greek Literature (From Homer to the Age of Lucian), Methuen 1950, p. 302.

(٥) د. عبد المعطي شعراوي، المرجع السابق، ص ٢٩ – ٣٠.

(6) Bowra, Op. Cit., p. 132.

(٧) راجع محاورة فايدروس ٢٥٩.

(٨) محاورة بروتاجوراس ٣٢٠ وما بعده.

(٩) محاور جورجياس ٥٢٣ وما بعده.

(١٠) محاورة الجمهورية ٦١٧ وما بعده.

(11) Rose, Op. Cit., pp. 323 – 326.

وهناك أيضًا العديد من الشعراء مثال ثيوكريتوس السيراكوزي[١]، وموسوخوس السكندري[٢]، وأبوللودوروس[٣] الشاعر السكندري الذي يبرز من بين مؤلفاته كتاب المكتبة Bibliotheca كمصدر مهم من مصادر الأساطير الإغريقية، ذلك أن الكتاب بأكمله دراسة للأساطير الإغريقية، وكتاب آخر بعنوان "عن الآلهة" يقدم فيه أبوللودوروس دراسة مستفيضة لعقيدة اليونان. وهناك كذلك باوسانياس الذي كتب عن "تصف بلاد اليونان"[٤]، الذي يتناول فيه العبادات والعادات والأساطير التابعة لهذه البلاد مما جعله مصدرًا رئيسيًا من مصادر الأساطير الإغريقية. ويلي أولئك كتاب ينتمون إلى أصول غير يونانية مثال لوكيانوس الساموساتي[٥]، وهو من أصل أسيوي ولكنه أتقن اليونانية وكتب موضوعات بلاغية وفلسفية وتاريخية استخدم فيها أساطير إغريقية متعددة. وهناك أيضًا ابوليوس[٦]، وهو مؤلف أفريقي صاغ أفكاره باللغة اللاتينية الذي اشتهر بروايته "الحمار الذهبي"، واستخدم فيها أساطير إغريقية عديدة.

ثمَّ نأتي إلى فرجيليوس الشاعر الروماني الذي يقف بأعماله الخالدة على قائمة الشعراء الرومان، وهو الذي كتب إلى جانب قصائده الأولى "الرعويات" Bucolica وقصائده الثانية "الزراعيات" Georgica، ملحمة الأنيادة التي ظل يكتبها إحدى عشرة سنة ومات قبل أن يراجعها[٧]. ويروى فيها أساطير إغريقية عديدة عن الحرب الطروادية وآلهة الإغريق والربات والحوريات والأبطال والبطلات. ولقد قدم فيها عرضًا مفصلاً للعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية حتى كادت تضارع الإلياذة والأوديسيا كمصدر من مصادر الأساطير الإغريقية.

---

(١) د. عبد المعطي شعراوي، نفس المرجع، ص ٣٣ – ٣٤.
(٢) د. عبد المعطي شعراوي، نفس المرجع، ص ٣٤– ٣٥.
(٣) د. عبد المعطي شعراوي، نفس الموضع.
(٤) د. عبد المعطي شعراوي، نفس المرجع، ص ٣٥.
(٥) عاش في الفترة من ١٢٠ إلى ١٨٠م .. وهو من أصل سوري على وجه التحديد.
Rose, Greek Literature, pp. 417- 18.
(٦) د. عبد المعطي شعراوي، المرجع نفسه، ص ٣٦.
(7) Donatus, Vita Vergili, 25: Aenida XI perfecit annis.

وهناك أيضًا الشاعر الروماني أوفيدوس[١] الذي لا يقل أهمية عن معاصره فرجيليوس فيما يتعلق بموضوع الأساطير الإغريقية[٢]. فلقد نظم العديد من القصائد كلها زاخرة بالأساطير الإغريقية[٣]، بل إن أغلبها يكون موضوعه الأساسي قائمًا على الأسطورة .. فهكذا نجد قصائد "البطلات" Heroides وهي عبارة عن رسائل بعثت بها مجموعة من النساء يعشن في عصر الأساطير، وكذلك قصائد "فن الحب" Ars Amatoria التي تحتوي على عدد كبير من الإشارات الأسطورية، ثمَّ قصائد "التغييرات" Metamorphoses وهي مجموعة من الأساطير الإغريقية، وبينها بعض القصص الرومانية التي تروي التغير الذي طرأ على هيئة عدد من الكائنات.

وهكذا نجد أن الأدب الروماني[٤] يدين في الشكل وبعض مادته ومميزاته إلى الأدب اليوناني، إذ تأثرت في الغالب جميع فروع الأدب الروماني بآداب اليونان، ومع ذلك فإن كتابات الرومان ليست نسخًا أصلية مما كتبه اليونان، وإنما ما فعلوه هو أنهم اقتبسوا الأدب اليوناني، وكيفوه بحيث أصبح عملهم يختلف عن عمل مماثليهم من الإغريق. وعلى أية حالة فإن الرومان قد بدأوا أدبهم بالمعنى المعروف بالترجمة عن اليونانية، واستعملوا أوزان الشعر اليوناني بعد أن فشل الوزن الروماني المعروف بالساتوري. كما تأثر الرومان أيضًا بلغة اليونان إذ نجد في التراجيديا اللاتينية كلمات وتعابير يونانية كثيرة في كتابات عظام شعراء الرومان أمثال كاتوللوس ولوكريتيوس وهوراتيوس وغيرهم.

---

(١) عاش في الفترة من ٤٣ ق.م إلى ١٧م.

(٢) د. عبد المعطي شعراوي، نفس المرجع، ص ٣٩.

(٣) من أعمال أوفيديوس:

Amores, Remedia Amoris, Fasti, Tristia, Epistulae ex ponto, Halieutica.

(٤) د. أحمد عبد الرحيم أبو زيد، تاريخ الأدب الروماني- منذ البداية حتى عصر أوغسطوس، دار النهضة العربية- القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٠ : ١٦.

ويقول د. أحمد عتمان[١]: "إن النثر اللاتيني كان أحسن حالاً من الشعر، ذلك أنه قد اكتسب صفاته المحلية المميزة حتى بعد تشبعه بالمؤثرات الإغريقية". وهكذا كان للأدب اللاتيني إذًا مميزات خاصة به ذلك أنه لم يؤدِ دور الناقل فحسب كما اعتقد البعض، بل استطاع أن يضيف إلى ما أخذه من اليونان ويطوره ويكسبه فردية خاصة به، ويطبعه بطابع روماني. وهذا أيضًا ما تشير إليه الإشارات التي وردت عن رومولوس وريموس الأخوين التوأمين والمؤسسين الأسطوريين لمدينة روما عند الكثير من الكتاب الرومان مثل اينيوس[٢]، وشيشرون[٣]، وكاتوللوس[٤]، وساللوستيدس[٥]، وليفيوس[٦]، وبروبيرتيوس[٧]، وأوفيدوس[٨]، ومارتيالس[٩]، ويوفيناليس[١٠].

ولقد حفلت أيضًا كتب التاريخ والأدب العربي وخاصة كتب التفسير التي تحاول تفسير الظواهر الكونية ونسبتها إلى قوى غير ظاهرة في حكاية تربط بين الفكرة والحركة ثمَّ تجسد الظاهرة لتصبح كائنات متحركة، بالكثير من أصداء هذه الأساطير، مثال ذلك: الأساطير التعليلية التي تهتم بخلق الكون، وماهية أصل الماء والهواء والطين والنار والبرق والرعد والمطر والنور، ومنها أيضًا حكايات السحر وأساطير الكهانة، وإمكانات أصحاب الروحيات في التأثير على المكان بل وعلى الزمان[١١].

---

(١) د. أحمد عتمان، الأدب الأثيني ودوره الحضاري- حتى نهاية العصر الذهبي، مجلة عالم المعرفة، العدد ١٤١، سبتمبر ١٩٨٩، ص ١٦.
(٢) كوينتوس اينيوس ولد في كالابريا عام ٢٣٩ ق. م – ١٧٠ ق. م.
(٣) ماركوس توللیوس شيشرون ولد عام ١٠٦ ق. م حتى ٤٣ ق. م.
(٤) جايوس فاليريوس كاتو للوس ولد في فيرونا ٨٧ ق. م ومات حوالي ٥٤ ق. م.
(٥) جايوس سالوستيوس كريسبوس- ولد في مدينة أميتيرنوم السابينية عام ٣٨٦ق.م، ومات ٤٨ ق.م.
(٦) توللیوس ليفيوس ٥٩ ق. م حتى ١٧م.
(٧) بروبيرتيوس سيكستوس- تقريبًا ٥٠ ق.م.
(٨) أوفيديوس ناسو ٤٣ ق.م حتى ١٧.
(٩) فالبريوس مارتياليس ولد في أسبانيا ٤٠م حتى ١٠٤م.
(١٠) يوليوس يوفيناليس حوالي ٤٧م – ١٢٧م.
(١١) د. فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ص ٢٢.

ولقد أشارت أيضًا السير الشعبية والملاحم العربية إلى تأثر كبير بالأساطير الرمزية التي تحول القوة إلى رمز مجسد، وتخلع صفات الإنسان على الآلهة والأبطال الخرافيين، وتمتزج في بعضها قدرات الإنسان المحدودة بطاقة هائلة تؤكد قدرته على مواجهة المجهول والتغلب عليه. وبالإضافة إلى ذلك فهي تجسد عبور البطل إلى مرحلة النضج، كما أنها أحيانًا تتحدث عن رمز موت البطل أو ولادته[١].

وفيما يتعلق بالأساطير التاريخية التي تأثرت بها أيضًا السير الشعبية والملاحم العربية كثيرًا ففيها يرتفع الأبطال بحكم قدراتهم إلى مصاف أصحاب القدرات الخارقة، فيأتون بالمعجزات، ويحققون لأنفسهم أو للرمز الذي يرمزون إليه الانتصار على القدر، أو على القوى المعوقة للإنسان. وهذه الأساطير تمجد أعمال الإنسان القوي، وتقدم له كل ملامح العظمة والبحث عن الخلود والصيت[٢].

ويحمل القرآن الكريم آيات تدل على وجود الأساطير عند العرب، مثال: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [٣]، أي: إن صلاتهم كانت عبارة عن صفير وتصفيق. ولقد احتفظت لنا كتب التاريخ والأدب بأسماء وأخبار أصنام وكذلك القبائل التي كانت تعبدها، وأيضًا بعض الطقوس التي صاحبت عبادة الأصنام، وهناك أيضًا بعض الأساطير التي رويت حولها وحول سر عبادة الناس لها. ومن آلهة العرب هذه هي اللات واورتلت والعزى وعنتر وهُبَل والمقة الذي ظل نحو ألف سنة كبير الآلهة في اليمن[٤].

ولقد رأى هيرودوتوس أن أورتلت كان إله الشمس عند العرب، ويقابله ديونيسوس إله الخصوبة عند الإغريق، ورع عند المصريين القدماء. ومن بعد هيرودوتوس جاءت جماعة استرابون التي جعلت أورانوس وزيوس

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢ – ٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٣.
(٣) سورة الأنفال، آية ٣٥.
(٤) ديتلف نيلسون، تايخ العرب القديم، ترجمة فؤاد حسنين، النهضة المصرية، ١٩٥٨، ص ١٧٢ – ٢٤٤.

إلهين عربيين أو ساميين جنوبيين[١]. ويقول د. أحمد كمال زكي[٢]: "لو كانت بقيت لدينا آداب العرب الدينية الأولى أو صلواتهم، أو أغانيهم الشعبية، أو وصاياهم، التي كشفت عن نظائرها في بابل وآشور، لأضافت إلى تراث الإنسانية ما هي في حاجة إليه لتستكمل كثيرًا من ملامحها الضائعة".

ويمكن القول إن العرب حكاؤون بفطرتهم التي تتصل بالليل ومجلسهم حول النار والقمر المضيء في رحلاتهم التجارية عبر الصحراء، وكذلك الصيد والحرب، ومسامراتهم، وانتهاءً بالعمل المجمع المسمى "ألف ليلة وليلة" [٣].

وعندما اكتشف العرب القصور والقبور بعد أن تجاوز الإسلام حدود الجزيرة العربية، فإن هذه الاكتشافات قد مزجت الحقيقة بالخيال، وأنشأت مزيدًا من الحكايات الخرافية انبعثت في كتب التاريخ والأدب حينًا، وفي ثنايا السير الشعبية حينًا آخر[٤].

وبالعودة إلى القرآن الكريم سوف نجد في قصة سيدنا موسى التي وردت في العديد من الآيات[٥]، تذكيرًا بأسطورة رومولوس وريموس التي وردت عند العديد من الكُتاب الرومان[٦].

قال الله تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى

---

(١) د. فاروق خورشيد، نفس المرجع، ص ٧١ – ٧٢.
(٢) د. أحمد كمال زكي، الأساطير، ص ٧٧.
(٣) محمد بن حسين الهمداني، الإكليل (تحقيق: نبيه أمين فارس)، دار صنعاء، بيروت، د.ت، ص ٦٦، وطبعة الزخائر، ص ٤٦.
(٤) د. فاروق خورشيد، المرجع نفسه، ص ٧٩.
(٥) سورة مريم، القصص، الأعراف، الشعراء، غافر، النمل، الشعراء.
(٦) راجع:

Enn. Ann. 79, 80. Catul. 28- 15; 29. 5. 58. 5- Liv. 1. 3. 9; 1. 5. 3. Cic. Div. 2. 47; Rep. 2. 4; Leg. 108; Alt. 2.1.8. Sal. Hist. 1. 55. 5. Ov. Fast. 3. 41. Prop. 4. 6. 80. Mart. 10. 76. Juv. 10. 73.

الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [١].

يذكـــر تعالى ملخص القصة، إن فرعون تجبر وعتا وطغى وبغى، وآثر الحـــياة الدنيا، وأعرض عن طاعة الرب الأعلى، وجعل رعيته أقسامًا وفرقا وأنواعًا، يستضعف طائفة منهم، وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبـــي الله يعقـــوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض. وقـــد سلط عليهم هذا الملك الظالم يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الـــصنائع والحرف، ومع هذا يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وكان الحامل لـــه على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأثـــرونه عـــن إبراهيم (عليه السلام)، من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك مـــصر على يديه. وكانت هذه البشارة مشهورةً في بني إسرائيل، فتحدث بها القـــبط فـــيما بينهم، ووصلت إلى فرعون، فذكرها لـــه بعض أمرائه، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل؛ حذرًا من وجود هذا الغلام، ولن يغني حذر من قدر!

وذكر السدي عن أناس من الصحابة[٢]: أن فرعون رأى في منامه كأن نـــارًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تُـــضر بني إسرائيل. فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والحذقة والسحرة، وســـألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء، يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النساء.

والمقـــصود أن فـــرعون احترز كل الاحتراز ألا يوجد موسى حتى جعل رجالاً وقوابل يدورون على الحبالى، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكرًا إلا ذبحه[٣].

---

(١) سورة القصص: ٣- ٦.

(٢) إســـماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، قصص الأنبياء، تحقيق أبي الفداء أحمد بن بدر الدين، المكتبة الإسلامية، ٢٠٠٢، ص ٣٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٦٣.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُون﴾ (١).

قال السهيلي: واسم أم موسى "أيارخا" وقيل: "أياذخت" (٢). والمقصود: أنها قد ألقي في خلدها وروعها ألا تخافي ولا تحزني، فإنه إن ذهب فإن الله سيرده إليك، وإن الله سيجعله نبيًا مرسلاً، يعلي كلمته في الدنيا والآخرة، فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط طرف الحبل عندها، فذهب مع النيل فمر على دار فرعون، ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾، قال الله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً ﴾. بمضمون الكلام وهو أن آل فرعون قيضوا لالتقاطه ليكون لهم عدوًا وحزنًا.

وذكر المفسرون: أن الجواري التقطنه من البحر في تابوت مغلق عليه، فلم يتجاسرن على فتحه، حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون "آسية"، فلما رأته ووقع نظرها عليه أحبته حبًا شديدًا جدًّا، فلما جاء فرعون قال: ما هذا؟ وأمر بذبحه، فاستوهبته منه ودفعت عنه، وقالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾، فقال لها فرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا، أي: لا حاجة لي به. ومفاد ذلك أنهما تبنياه؛ لأنه لم يكن يولد لهما ولد، قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُون ﴾ أي: لا يدرون ماذا يريد الله بهم.

وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

---

(١) القصص: ٧ – ٩.
(٢) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المرجع نفسه، ص ٣٦٥ – ٣٦٦.
(٣) القصص: ١٠ – ١٣.

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ﴾ أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ أي: لتظهر أمره وتسأل عنه جهرةً، ﴿ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ أي: صبرناها وثبتناها، ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ ﴾ وهي ابنتها الكبيرة: ﴿ قُصِّيهِ ﴾ أي: اتبعي أثره، واطلبي خبره، ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ﴾ أي: راقبته عن بعد. ولهذا قال: ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾، وذلك لأن موسى (عليه السلام) لما استقر بدار فرعون أرادوا أن يغذوه برضاعة فلم يقبل ثديًا ولا أخذ طعامًا، فحاروا في أمره، واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن، فلم يفعل، كما قال تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾، فأرسلوه مع القوابل والنساء إلى السوق، لعلهم يجدون من يوافق رضاعته. فبينما هم وقوف به والناس عكوف عليه إذ بصرت به أخته، فلم تظهر أنها تعرفه، بل قالت: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ، فأطلقوها وذهبوا معها إلى منزلها، فأخذته أمه، فلما أرضعته فرحوا بذلك فرحًا شديدًا، وذهب البشير إلى "آسية" يعلمها بذلك، فاستدعتها إلى منزلها، وعرضت عليها أن تكون عندها، وأن تحسن إليها، فأبت عليها، وقالت: إن لي بعلاً وأولادًا، ولست أقدر على هذا إلا أن ترسليه معي، فأرسلته معها، ورتبت لها رواتب، وأجرت عليها النفقات والكساوي والهبات، فرجعت به تحوزه إلى رحلها، وقد جمع الله شمله بشملها[1].

قال الله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي: كما وعدناها برده ورسالته، فهذا رده، وهو دليل على صدق البشارة برسالته، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ

[1] إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المرجع نفسه، ص ٣٦٧ – ٣٦٨.

رَبِّ بِمَـــا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [1]، أي: أنه لما بلغ أشده واســـتوى، وهـــو في سن الأربعين في قول الأكثرين، آتاه الله حكمًا وعلمًا، وهـــو النـــبوة والرســـالة التي كان بشر بها أمه حين قال: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

وقـــوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ وذلك نصف الـــنهار، ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ﴾ أي: يتضاربان، ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ أي: إسرائيلي، ﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾أي: قبطي[2]، ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾، فلما استغاث ذلك الإسرائيلي موسى (عليه السلام) على ذلك القبطـــي أقبل إليه موسى ﴿ فَوَكَزَهُ ﴾ بعصا كانت معه، ﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ أي: فمات منها.

وقـــال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُـــلٌ مِـــنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْـــرُجْ إِنِّـــي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّب﴾ [3]أي: خرج من مدينة مصر من فوره وهو خائف مذعور.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيـــرٌ فَـــسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْـــزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [4].

﴿ وَلَمَّـــا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ وكانت بئرًا يستقون منها، ومدين هي المدينة التي أهلك الله فيها أصحاب الأيكة، وهم قوم شعيب (عليه السلام).

يقـــول تعالـــى: ﴿ فَجَاءَتْـــهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُـــوكَ لِيَجْـــزِيَكَ أَجْـــرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَـــفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْـــتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ

---

(1) القصص: ١٤ – ١٧.
(2) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المرجع نفسه، ٣٦٩.
(3) القصص: ١٨ – ٢١.
(4) القصص: ٢١– ٢٤.

تَأْجُرَنِـــي ثَمَانِـــيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (١).

وقد اختلف المفسرون في هذا الشيخ من هو، فقيل: بأنه شعيب (عليه السلام)، وقـــد عـــاش عمرًا طويلاً بعد هلاك قومه، حتى أدركه موسى (عليه السلام) وتزوج بابنـــته مقابل "إن موسى (عليه السلام) آجر نفسه ثماني سنين أو عشر سنين على عفة فرجه وطعام بطنه" (٢).

وقـــال تعالى: ﴿ قَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَاصْـــطَنَعْتُكَ لِنَفْـــسِي اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٣).

وهـــذا مـــن حلمه تعالى وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه، مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبره، وهو إذا ذاك أدرى خلقه، وقد بعث إليه صفوته من خلقـــه فـــي هذا الزمان، ومع هذا يقول لهما، ويأمرهما أن يدعوا إليه بالتي هي أحسن برفق ولين، ويعاملاه معاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى.

ثـــمَّ يقول تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (٤).

يذكر تعالى أنه أمرهما أن يذهبا إلى فرعون فيدعواه إلى الله تعالى، أن يعـــبده وحـــده لا شريك لـــه ، وأن يرسل معهما بني إسرائيل ويطلقهم من أسره وقهره، ولا يعذبهم.

ثـــمَّ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِـــنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً

---

(١) القصص: ٢٥ – ٢٨.
(٢) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المرجع نفسه، ص ٣٧٦.
(٣) طه: ٤٠ – ٤٦.
(٤) طه: ٤٧– ٤٨.

لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً ﴾ (١).

ويذكر تعالى أن فرعون قد رفض رسالته عبر موسى، بل وأعلن تحديه لموسى من خلال سحرته.

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (٢).

وفي لحظة التحدي يشعر موسى بالخوف، فيطمئن الله تعالى نبيه، ويوحي إليه بخوض التحدي واعدًا إياه بالنصر.

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (٣).

وعندما يوحي الله تعالى لموسى بأن يلقي عصاه فإذا بها تلتهم كل ما ألقى به سحرة فرعون، فيخرون ساجدين معلنين إيمانهم برب موسى وهارون.

كما قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٤).

وهنا يتوعد فرعون سحرته الذين آمنوا برب العالمين رب موسى وهارون، ولكنهم يعلنون تمسكهم بإيمانهم، وتحديهم لفرعون.

---

(١) طه: ٥٦- ٥٩.
(٢) طه: ٦٥: ٦٩.
(٣) الأعراف: ١١٧ - ١٢٢.
(٤) طه: ٧٠ - ٧٦.

قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ ﴾ [١].

ويستوجه فرعون إلى قومه مذكرًا إياهم بملكه وجبروته مطالبًا إياهم أن يتبعوه، فأطاعوه، وهنا حق عليهم عقاب الله (ﷻ) فأغرقهم مع فرعون، وجعل منهم عبرةً للآخرين.

وفيما يتعلق بقصة الأخوين التوأم رومولوس[٢] وريموس[٣] اللذين – طبقًا للأسطورة- كانا المؤسسين لروما؛ فإن القصة في الواقع تكون مختلفة ولا يمكن اقتفاء أثرها في معظم عناصرها، وهي تعود إلى أكثر من القرن الرابع ق.م[٤]. إن القصة التي وصلتنا تكون يونانية إلى حد كبير في شكلها وأفكارها، وليست لاتينية، وهي في أغلبها تشير إلى فكرة الإله الذي ينجب أطفالاً بشريين، وواحد منهم يصبح إلهًا[٥].

---

(١) الزخرف: ٥١- ٥٦.

(٢) راجع:

Enn- Ann. 80. Catul. 28. 15; 29. 5. Cic. Div. 2. 47. Sal. Hist. 1. 55. 5. Flor. Epit. 1. 33 (2. 17. 15). Liv. 1. 3. 9; 1. 5. 3.

(٣) راجع:

Enn- Ann. 79. Cic. Rep. 2. 4; Leg. 1. 8. Liv. 1. 5. 3. Ov. Fast. 3. 41. Cat. 58. 5. Prop. 4. 6. 80. Mart. 10. 76. Juv. 10. 73.

(4) Michael Stapleton, Greek and Roman Mythology, Hamlyn, London, 1982, p. 255 – 256.

(5) Paul Kretschmer, Remus und Romulus, Glotta, I. Band, 1909, pp. 288- 303. Leggenda e nella Storia, Naples, 1959. J. Poucet, Les Origines de Rome, Brussels, 1984. M. Pallottino, History of Earliest Italy, London, 1991. T. P. Wiseman, Remus a Roman Myth, Cambridge Univ. Press, 1995, pp. 1- 7, 103 – 125.

إن القصة تبدأ في ألبالونجا، المدينة التي أسسها أسكانيوس ابن أينياس. وواحد من سلالته، هو الملك نوميتور Numitor[1]، الذي جُرِّد من عرشه بواسطة أخيه الأصغر أموليوس Amulius[2]. وقام أمولويوس المغتصب للعرش، لكي يقضي بشكل نهائي على الحق الشرعي لنوميتور، باعتقال ابنته رهيا سيلفيا Rhea Silvia[3]، وجعلها راهبة للآلهة فيستا Vesta[4] وبذلك لا يمكنها الزواج أبدًا. وفي رواية أخرى أنه كان لرهيا سيلفيا شقيق يدعى لوسوس[5]، وقد قتله أموليوس خلال مباراة في الصيد إمعانًا في تثبيت نفسه على العرش. إلا أن الإله مارس زار رهيا سيليفيا وأنجبت منه التوأم رومولوس وريموس. ويقول شيشرون في هذا الشأن:

Tam calrum ac tam omnibus notum exordium quam huius urbis condendae principium profectum a Romulo? qui patre Marte natus, Cic.Rep. II. 2, 4.

ولخوف أموليوس من الطفلين كوريثين شرعيين للعرش، فقد وضعهما في صندوق، وألقاه في نهر التيبر. وفي هذا يقول شيشرون:

ut natus sit, cum Remo fratre dicitur ab Amulio rege Albano, ob labefactandi regni timorem ab tiberim exponi iussus esse. Cic. Rep. Ii, 2, 4.

ولقد جرف تيار النهر وهو في حالة الفيضان الصندوق من مجراه، إلى أن وصل بالقرب من تل بالاتينوس Palatinus [6]. وهناك جذبت صرخات

---

(١) راجع: Verg. A. 6. 768. Liv. 1- 3- 10. OV. Fast. 4. 53.

(٢) راجع: Naev. Poet. 24 (25). 2. Liv. 1. 3. 10. Ov. Met. 14. 77^2.

(٣) راجع: Liv. I, 3. 11. Flor. Epit. I- I (I.I.I).

(٤) راجع: Enn. Ann. 62. Cato, Agr. 132. 2. Verg. G. 1. 498, 4. 384; A. 2.296.

(٥) انظر: ب.كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، ١٩٩٢م، ص ص ٢٩٩ - ٣٠١.

(٦) راجع: Oxford Latin Dictionary, p. 1283.

الطفلين انتباه الذئبة التي تولت بعد ذلك إرضاعهما وأنقذت حياتهما. ويشير كل من إينيوس وشيشرون إلى هذا على النحو التالي:

Lupus femina feta repente, Enn. Ann, 71.

quo in loco cum esset silvestris beluae

Sustentatus uberibus. Cic. Rep. II, 2, 4.

وبعد ذلك عثر الراعي فاوستولوس Faustulus [1] على التوأم، وأخذهما إلى منزله حيث تولت زوجته أكا لارينتيا Acca Larentia رعايتهما، وعاملتهما كطفلين من أولادهما؛ ويقول شيشرون في هذا:

Pastoresque eum sustulissent et in agresti

cultu laboreque aluissent. Cic. Rep. II, 2, 4.

وبعد أن كبر الولدان وأصبحا رجلين طابعهما القوة والشجاعة والميل نحو القيادة، تورطا في شجار مع بعض الرعاة.

Pars ludicre saxa iactant, inter se

Licitantur. Enn. Ann. 75- 6.

وقادهما هذا الشجار إلى أعمال بطولية، وتبع ذلك أن دبر الرعاة أمرهم من أجل أسر ريموس التوأم الأصغر، وأخذوه إلى الرجل المسئول عن العقوبات. وكان فاوستولوس أباهما بالتبني قد أخبر رومولوس بحقيقة أمرهما وكل ما حدث لهما. وفي تلك الأثناء مثل ريموس أمام صاحب المزرعة والأرض التي يعمل بها الرعاة، ولم يكن هذا الرجل سوى الملك المخلوع نوميتور وجد ريموس.

ولقد اهتم نوميتور جدًا بالشاب الذي وقف أمامه، وأصبح لديه هاجس تجاهه وبصفة خاصة ملامحه. وعندما وصل رومولوس، فأخذ الجد ينظر إلى حفيديه الواحد تلو الآخر إلى أن بدأت الحقيقة في الوضوح، ولم يضع

---

[1] راجع:

R. Peter, "Faustulus", Ausfuhrliches Lexikon der Griechischen und Romischen Mythologie 105, Leipzig 1886, pp. 1461 – 9.

رومولـــوس وقـــتًا إذ روى لـــــه مـــا أخبره به فاوستولوس الراعي الذي وجدهما وتبناهما.

وبعد ذلك تحالف الجد وأحفاده على الفور، وتمكنوا من استعادة العرش بعـــد أن قـــتلوا أمولـــيوس، وعاد السلام إلى ألبا لونجا مرةً ثانية، وفي هذا يقول شيشرون:

Ut iam a fabulis ad facta veniamus, oppressisse Longam albam, validam urbem et potentem temporibus illis, Amuliumque regem interemisse fertur. Cic- Rep. II, 2, 4.

ولقـــد أراد الأخـــوان تأسيس مدينة لهما، وانتهيا إلى أعلى التيبر حيث يوجد سبعة تلال، واستقرا في بالاتينوس. ولكن ظهر خلاف حول اختيار من مـــنهما يتولى حكم المدينة الجديدة، واستقر الرأي على أن تولى رومولوس حكـــم بالاتيـــنوس، ويتولى ريموس حكم أفينتينوس Aventinus[1]، وقام رومولـــوس ببـــناء أسوار حول مدينته؛ مما أثار سخرية ريموس الذي قام بتخطـــي هـــذه الأسوار، فأعقب ذلك سخط رومولوس الذي قتل أخاه كعقاب لـــه على فعلته[2].

Nec pol homo quisquam faciet inpune animatus hoc nec tu; nam mi calido dabis sanguine poenas. Enn. Ann, 102 – 3.

وبعـــد أن أخذت المدينة في التطور، قام رومولوس ببناء ملجأ على تل الكابيتوليوم مما جذب الكثيرين إلى المدينة وبصفة خاصة من ضاقت عليهم أراضـــيهم، وكذلك المنبوذون من المدن الأخرى. ولسوء الحظ أحضر هؤلاء

---

(١) ب. كوملان، المرجع السابق، ص ٢٥٧. د. إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٧٧.

(٢) راجع:

P. Drossart, "La Mort de Remus Chez Ovid", Revue des Études Latines, 50 Anne, 1972, p. 187 sq.

معهم عددًا قليلاً من النساء، كما أن الشعوب المجاورة رفضت تزويج بناتها لهم ازدراءً لتلك المدينة التي اتسمت بالقسوة والفجاجة على نهر التيبر.

ولقد تم حل هذه المشكلة على نحو مخجل، ذلك أن الرومان دعوا الشعب السابيني[1] للاحتفال بالمدينة الجديدة، ثمَّ قاموا باحتجاز كل الفتيات غير المتزوجات.

Cum Sabinas honesto ortas loco virgines, quae romam ludorum gratia venissent, quos tum primum anniversarios in circo Facere instituisset, consualibus rapi iussit easque in familiarum amplissimarum matrimonis collocavit. Cic. Rep. II, 7, 12.

وبسبب ذلك أعلن تيتوس تاتيوس ملك السابينيين الحرب. وفي الغالب انهزم رومولوس، خاصة بعد أن فقد الكابيتوليوم بسبب خيانة ثاربيا Tarpeia ابنة أبرز قواده. ولكن تحول الأمر بعد تدخل چوبتير، واستسلم السابينيون. وتدخلت النسوة السابينيات لإنهاء المعركة الشرسة بين الجيشين، وناشدوهن السلام، بعد ذلك تحرك السابينيون نحو روما، وعاش الشعبان مع ملوكهما في وئام وتجانس.

Qua ex causa cum bellum Romanis Sabini intulissent proeliique certamen varium atque anceps fuisset, cum T. Tatio, rege Sabinorum, foedus icit matronis ipsis, quae raptae errant, orantibus, quo foedere et Sabinos in Civitatem adscivit sacris communicates et regnum suum cum illorum rege sociavit. Cic. Rep. II, 8, 14.

---

[1] راجع:

Poucet, Les Origines de La légende Sabine à Rome, Lourain, Kinshasa, 1967, p. 333 sq.

وعـاش رومولـوس نحو أربعين عامًا أخرى حتى ذلك اليوم الذي كان يـتفقد فـيه جيـشه، ثـمَّ اختفـى فـي عاصفة مفاجئة[١]. وبعد ذلك تماثل رومولوس وتطابق على نحو كلي مع كويرينوس Quirinus[٢] إله الحرب السابيني، وعبده أتباعه تحت هذا الاسم[٣].

Teque Quirine pater veneror Horamque Quirini. Enn.Ann, 116.

وهكذا نجد أنفسنا في هاتين القصتين أمام نقاط تشابه عديدة تتمثل على النحو التالي:

أولاً- فـي كلـتا القصتين نحن أمام حاكم مستبد طاغ لا يتوانى في ارتكـاب الجرائم واغتصاب حقوق الآخرين في سبيل الحفاظ على عرشه والاستئثار به.

ثانيًا- كلا الحاكمين يستقر في ذهنه القلق والخوف من طفل قد يكبر ويغتصب عرشه.

ثالـثًا- خشية الأم في كلتا القصتين على أطفالها من الموت، فتضع كل منهما طفلها أو طفليها في سلة وتلقيها في النهر، حيث تلقي أم موسى السلة وبها ابنها في نهر النيل، وتلقي رهيا سيلفيا الصندوق وبه توأمها رومولوس وريموس في نهير التيبر.

رابعًا- نجاح حيلة كل أم في إنقاذ طفلها.

---

(١) راجع:

Dominique Briguel, "Perspectives Comparatives sur La Tradition Relative à la Disparition des Rumulus", Latomus, Revue d'Études Latines, Tome XXXVI, 1977, pp. 251 – 282.

(٢) راجع: Oxf. Latin Dict. P. 1559.

(٣) راجع:

J. R. Harris, The Cutt of the Heavenly Twins, Cambridge, 1906, p. 4 sq. A. Alfoldi, Early Rome and Latins, Ann Arbor, 1965. G. Dumézil, Relligion Romaine Archaique, Paris, 1964, p. 254. D. Word, The Divine Twins, Berkeley, 1968, p. 4 sq.

خامسًا- نجاح كل من الطفل موسى (عليه السلام)، والتوأم روموليوس وريموس عندما يبلغون سن الرجولة في القضاء على الحاكم المستبد، وإقصائه عن عرشه.

والجدير بالذكر- هنا أن تقوم في كلتا القصتين مشاجرة تعد نقطة تحول في الأحداث .. ففي قصة سيدنا موسى (عليه السلام) تحدث مشاجرة بين أحد شيعته وأحد رعايا فرعون، يتدخل على أثرها سيدنا موسى لصالح شيعته فيقتل خصمه، ويستتبع ذلك هروبه ثمَّ عودته لتحدث المواجهة بينه وبين فرعون والتي تنتهي بفناء فرعون.

وفي قصة- روموليوس وريموس تحدث مشاجرة بين ريموس وأحد رعاة نوميتور جده تنتهي بانتقام بقية الرعاة الرفقاء لذلك الراعي بتدبير أسره ومحاكمته أمام جده نوميتور، ثمَّ يتدخل روموليوسي وينتهي الأمر باكتشاف صلة القرابة بينهم، فيتحدوا وينتقموا من أموليوس غاصب عرش جدهم ويقتلونه.

سادسًا- أن موسى لم يقم بمهمته التي كلفه الله بها وهي هداية فرعون وحده، ولكن شاركه فيها أخوه هارون بناء على طلب موسى (عليه السلام) إلى أن ينجحا سويًا في الخلاص من فرعون، وهكذا كان الحال في قصة الشقيقين التوأم روموليوس وريموس.

سابعًا- يصبح موسى (عليه السلام) قائدًا ونبيًا لقومه، ويصير له أتباع حتى اليوم وهم اليهود. ويصبح روموليوس ملكًا وله شعب يدين له بالولاء إلى أن يموت فيخلد ويعبد تحت اسم كويرنيوس، ثمَّ يخلد اسمه مرةً أخرى في اسم المدينة التي تأسست حاملة اسمه حتى اليوم، وهي روما.

وأخيرًا، فإنه على الرغم من اتساع المسافة الزمنية والمكانية بين القصتين، حيث إن مولد سيدنا موسى (عليه السلام) يؤرخ له بعام ١٥٧١ قبل الميلاد تقريبًا، في حين أن أسطورة روموليوس وريموس التي ارتبطت بتأسيس مدينة روما التي يؤرخ لها حسب نتيجة البحوث التي قام بها الفقيه

الروماني ماركوس ترينتيوس فارو (Marcus Terentius Varro) خلال القـــرن الأول قبل الميلاد بصفة رسمية هو عام ٧٥٣ قبل الميلاد؛ ولقد جاء عـــند شيـــشرون (de Oratore, II, 12, 52) أن هذا التاريخ هو ١٧ من أبـــريل عام ٧٥٣ قبل الميلاد، وبناء على التشابه والتقارب بين القصتين فقد يـــنهض احـــتمال بأن أسطورة روموليوس وريموس قد تأثرت بقصة سيدنا موسى (عليه السلام).